



الوزارة العامة للثقافة والتراث
K.S.A. 100 YEARS

توحيد وبناء

القافلة

ربيع الأول ١٤٢٠هـ / يونيو - يوليه ١٩٩٩م



في البوسنة والهرسك:

قلوب وحجارة
تعفُّ بجسر المشاة في موستار

بطليموس وخريطة شبه الجزيرة العربية

بقلم : محمد همام فكري / قطر

قدّم الجغرافيون العرب معلومات قيمة عن جغرافية شبه الجزيرة العربية ، ظلت لفترة طويلة من الزمن هي الأساس الذي اعتمد عليه الجغرافيون ورسموا الخرائط في العالم ، و اجتذبت اهتمام الرحالة والمستكشفين الغربيين ، خاصة بعد أن برز فن رسم الخرائط كأحد مصادر المعرفة المهمة ، في بداية عصر النهضة الذي حفل بأعمال جغرافية عظيمة استندت إلى الموروث الجغرافي العالمي. وانطلقت بفكرها الحر إلى آفاق جديدة من المعرفة العالمية التي اعتمدت على التنقل بحثاً عن المعرفة في مصادرها الأصلية. وقد بدا ذلك واضحاً في مجال الحركة الجغرافية الكبرى التي انطلقت في كل الاتجاهات بقصد اكتشاف العالم الآخر بإمكاناته وواقعه الجغرافي وثرواته المتنوعة .

وكانت خريطة بطليموس للجزيرة العربية هي الدليل الموجه لكل من يتجه ببصره شطر الصحراء العربية ، أو يتلمس طريقه إليها ، ماراً بها أو ميحراً حول سواحلها أو دارساً لها . فقد ظلت لمئات السنين الخريطة المعتمدة الوحيدة لعلم رسم خرائط الجزيرة العربية .

طريق الحرير

مع اندثار الطريق البرية القديمة المعروفة بـ «طريق الحرير» ، المارة عبر إيران والعراق وشبه الجزيرة كانت طرق التجارة البحرية إلى الهند والشرق الأقصى هي أهم ما يشغل رواد هذه الحركة التجارية ، وهي تنقل الحرير من الصين ، والأحجار الكريمة من الهند ، واللؤلؤ من الخليج ، والتوابل والبخور من جنوب شبه الجزيرة العربية . وعلى الرغم من أن عملية الاكتشافات الجغرافية ، في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، بدت محدودة ^(١) إلا أن التجار والمغامرين البرتغاليين ، كانوا قد أتموا اكتشافهم لسواحل المحيطات ، وبدأوا بتحسين خريطة العالم ، التي رسمها بطليموس ، في القرن الثاني الميلادي ، بعد أن تعرفوا على مؤلفات العلماء العرب والمسلمين في الجغرافيا وعلم البحار ، وخصوصاً خريطة العالم ، التي وضعها الجغرافي العربي ، الإدريسي (١١٠٠-١١٦٥م) من جهة وازدياد نشاط المفكرين «الإنسانيين» الذين عملوا بدورهم على إحياء التراث الإنساني من جهة أخرى.

فقد أسهمت الاكتشافات الجغرافية البرتغالية والأسبانية إسهاماً كبيراً في تجديد فن رسم الخرائط البطلمي ، الذي كان هو نفسه يشكل تقدماً كبيراً بالنسبة للخرائط والرسوم في أديرة العصور الوسطى ^(٢) وازدياد معلومات الرحالة والبحارة والمستكشفين التجريبيين ، ومن ذلك وصول كل من فاسكو دي غاما إلى سواحل جنوبي شبه جزيرة العرب في سنة ١٤٩٨م ، ووصول دي فارتيجا إلى اليمن عن طريق البحر الأحمر في آن واحد على وجه التقريب . حيث مكنت المعلومات الجديدة التي حصلوا عليها ، في أيامهما ^(٣) من إنتاج عدد من الخرائط الجغرافية ، التي استفادت من المخطوطات البيزنطية ، خاصة خرائط بطليموس خلال القرن الخامس عشر ، وبذلك أثارت الاهتمام بالجغرافيا العلمية . وعليه كان طبيعياً أن يحوز بطليموس وخرائطه على الاهتمام . فقد وجد عملهم الرواج وحصلت جغرافية بطليموس على عدة إصدارات واكتسبت شعبية واسعة خلال القرن السادس عشر وظلت في الاستعمال كأطلس تاريخي بعد صدور الأطلس الحديثة ^(٤) .

ومع ازدياد الطلب على هذه الخرائط لدوافع تجارية واستراتيجية توسعية ، علاوة على التقدم الذي حدث في مجال تحسين تقنيات الطباعة ، حظيت شبه الجزيرة بمجموعة نادرة من الخرائط التاريخية التي تعكس في الوقت تطور علم رسم الخرائط Cartography في تمثيل المسافات والاتجاهات للمناطق المعروفة في شبه الجزيرة العربية وعلاقتها بالخرائط العالمية ، أو الخرائط التي تختص بقارتي آسيا وإفريقيا أو ضمن الخرائط السيادية التي وضعت للإمبراطوريتين الفارسية أو العثمانية .

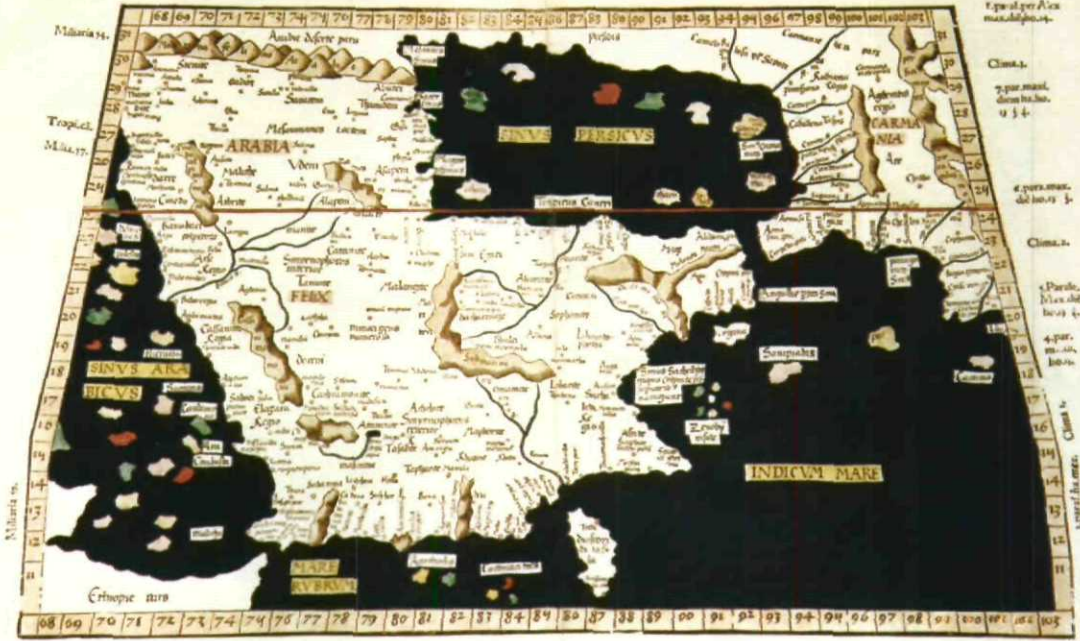
كلوديوس بطليموس الإسكندري (٩٠ - ١٦١ م)

(فلكي ورياضي وجغرافي
وفيزيائي ومؤرخ كبير)

يعد العالم الإغريقي الشهير
بطليموس واسمه الأصلي
كلوديوس بطليموس ، الذي ولد
حوالي عام ٩٠ بعد الميلاد ونشأ
في الإسكندرية خلال الربع الأول
من القرن الثاني الميلادي ، أشهر
واضعي خرائط شبه الجزيرة
العربية ، فقد كان له تأثير عميق
في تطور الفكر الجغرافي في بلاد
الإغريق والعالم الهيليني بشكل
عام ومدرسة الإسكندرية على
وجه الخصوص ، وأحدث
تطورات مهمة في علم الجغرافيا

على يديه ، فهو يعد بحق واضع أسس علم رسم الخرائط العلمية (٦)
وأول من وصف طرق الإسقاط المستعملة في رسم الخرائط ، وأول من
وضع خرائط العالم ، مستفيداً من المعلومات التي أخذها من علماء
شرق البحر الأبيض المتوسط ، وقد كان لاكتشافه عدم انتظام حركة
القمر ، والأرصاد السماوية وحركة الكواكب دور كبير في تقدم علم
الفلك ، حيث اعتبرت أعماله في الفلك والجغرافيا مرجعاً أساساً حتى
أيام كوبرنيكوس ، فكتابه المسمى المجسطي (في الفلك والرياضة)
يحتوي على مسائل وتفسيرات للأجرام
السماوية وعلاقتها بالأرض ، فقد تخيل أن
الأرض هي مركز العالم الذي تدور حوله باقي
الأجرام السماوية في دوائر وسرعات منتظمة ،
وتفسيره لابتعاد الكواكب واقتربها من الأرض ،
بفرض مسارات دائرية صغيرة لهذه الكواكب
تتحرك مراكزها على محيط دوائر ، تقع
الأرض في مركزها .

وكان لهذه الأعمال ، نتائج هامة في مجال الكشف الجغرافي ومن ثم
في تقنية رسم الخرائط (٧) ، وهو ما مثل الحلقة الرئيسة بين الجغرافيا
القديمة (الشرق) والجغرافيا العلمية الحديثة . وقد أثارت أعماله
بشكل عام اهتمام الطابعين الأوائل ، ووجدت أعماله رواجاً واسعاً
وصدر العديد من الطبقات التي استعملت حتى وقت متأخر في الفكر
الجغرافي العالمي . وهو ما تجسد في كتابه الشهير المرشد الجغرافي
Guide to Geography المؤلف من ٨ كتب و٢٧ خريطة «تقديرية» الذي



خريطة بطليموس .. ملونة .. طبعة عام ١٥١١ م - (لاحظ وجود الأنهار).

وظلت المعلومات التي جاءت في خريطة بطليموس Claudius Ptolemaeus هي الأساس الذي قامت عليه الخرائط التالية بطبعاتها المختلفة ، كالخرائط التي وضعها الجغرافيون الرواد من أمثال : جياكوم جاستالد Giacomo Gastald وجيرالد مريكيتور Gerard Mercators ولانجرين Langren وأورتيلوس Ortelis ووليم بلاو Willem Blaeu وجون بلاو John Blaeu ونقولا سانسون Nicolas Sanson وغيرهم .

ولقد قام هؤلاء جميعاً بتحسين خرائطهم استناداً إلى القياس وفقاً للجهات الأربع منسوبة للساحل .
مستعينين بالمعلومات التي رواها الرحالة
عن هذه المناطق (مثلما فعل بطليموس)
ونقلًا عن الرواة من أبناء المنطقة أنفسهم
خاصة التجار منهم ، بالإضافة إلى دراسة
أعمال الرحالة والمستكشفين العرب من
الخرائط الموثوقة كخريطة المسعودي
(٩٥٦م) وابن حوقل (٩٧٧م) والإدريسي

(١١٥٤م) وهي الخرائط التي حملت بين طياتها نشاط العرب
التجاري في جزر الهند الشرقية والهند وشرق إفريقيا ، وحوض
البحر الأبيض المتوسط حتى بلاد الأندلس غرباً . وقد اطلع الغرب
على هذه الأعمال في أواخر القرن السادس عشر عندما ترجمت إلى
اللاتينية إضافة لأعمال الرحالة الأوروبيين الذين جاءوا إلى المنطقة
العربية في وقت مبكر أمثال الرحالة البرتغاليين الذين قدموا
معلومات هامة عن جغرافية المنطقة (٥) .

**كانت خريطة بطليموس للجزيرة
العربية هي الدليل الموجه لكل من يتجه
ببصره شطر الصحراء العربية ، أو
يتلمس طريقه إليها ، ماراً بها أو مبحراً
حول سواحلها أو دارساً لها .**

يعد أهم ما وضع من خرائط في الفترة التي عاشها (القرن الثاني الميلادي).

بطليموس والجزيرة العربية

ظلت الخرائط الكلاسيكية التي وضعها بطليموس لشبه الجزيرة

العربية ولفترة طويلة من الزمن هي الخرائط الوحيدة المتداولة لها ، فاحتلت مكانة مميزة لدى كل من كان يريد أن يلقي نظرة على شبه الجزيرة العربية، وظلت المرجع الجغرافي الوحيد الذي احتوى على معلومات قيمة (وقتئذ) عن شبه الجزيرة العربية ، خاصة ما يتعلق بطرق التجارة أو ما كان يسمى بطريق التوابل الذي يبدأ من ظفار في جنوب شبه الجزيرة إلى مكة والمدينة منتهاً بجنوب البحر الأبيض المتوسط .

وفي هذه الخريطة قسم بطليموس شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام هي :

أولاً : Petria Arabia . وهي الأرض الواقعة جنوب غربي الشام وحاضرتها بطره .

ثانياً : Arabia Desert . وهي ما أطلق على بادية الشام وحدها ، ثم ما أطلقه بعضهم على شبه جزيرة العرب لجديها بوجه عام .

ثالثاً : Arabia Felix . وهي بلاد اليمن التي كانت تسمى الأرض الخضراء أو البلاد السعيدة ، حيث قامت حضارات الممالك العربية القديمة مثل حضارة معين وحضارة سبأ .

كما أنه أظهر في خريطته وجود خزانات ضخمة للمياه تتجمع في حضرموت وانسياب نهرين أحدهما يصب في المحيط الهندي والآخر شرقاً في البحر الأحمر ، وهو ما يدل على أن مناخ شبه الجزيرة العربية منذ ألف وثمانمائة عام كان أقل جفافاً مما هو عليه الآن .

وعلى الرغم مما جمعه بطليموس من معلومات ، وما ابتدعه من مساقط فقد احتوت خريطته على بعض الأخطاء التي ظلت مستخدمة فيما ظهر بعده من خرائط، فمن الأخطاء الرئيسة التي وقع فيها ، تقديره لطول الدرجة بـ ٥٦,٥ ميل بخلاف تقديرات إبروستين الدقيقة وعندما قام بطليموس بتحويل هذه الأطوال إلى درجات ظهر محيط الأرض أقل من حقيقته ، بينما بلغ امتداد العالم المعروف أكثر من

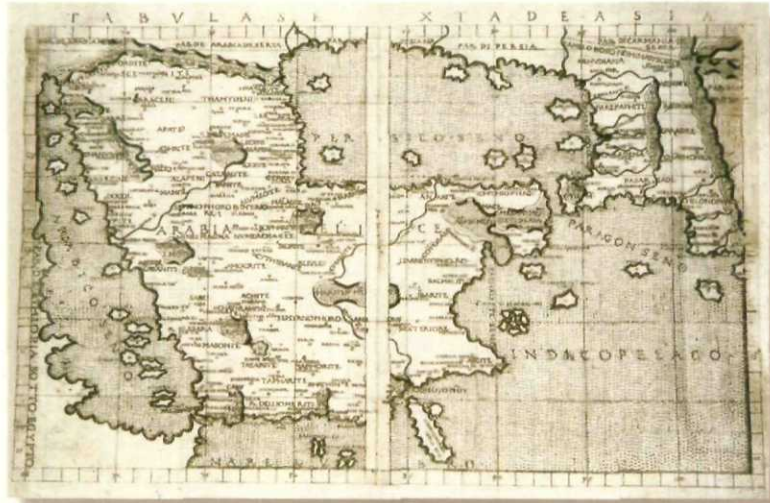
ظلت الخرائط الكلاسيكية التي وضعها بطليموس لشبه الجزيرة العربية ولفترة طويلة من الزمن هي الخرائط الوحيدة المتداولة لها .

حقيقته ومن ثم كانت معظم التفاصيل التي احتوتها الخريطة مخالفة للواقع، فبلغ امتداد البحر المتوسط ٦٢ بدلاً من ٤٢° ، كما بالغ في امتداد السواحل الشرقية لآسيا بحوالي ٥٠° ، فضلاً عن هذا فقد تضاءلت مساحة شبه جزيرة الهند في خريطته ، بينما نجده يبالغ في مساحة جزيرة سيلان، أما المحيط الهندي فقد ظهر في خريطته كبحر مغلق نظراً لاتصال اليابس الإفريقي باليابس الآسيوي (٨) .

خريطة آسيا السادسة Asia Tabula VI

وطبعت عام ١٤٧٨م على ورق قطع شجر وأبعادها ٢٦×٢٥ سم وتغطي الجزيرة العربية كاملة محاطة بالبحر الأحمر وجزءاً من مصر وأثيوبيا من الشرق ، والخليج والمحيط الهندي من الشرق وبحر العرب من الجنوب .

والخريطة مقسمة حسب المقياس الخماسي (كل قسم خمس درجات) وبياناتها باللاتينية والمدن محاطة بحدود على شكل نقاط دقيقة، أما المرتفعات من الجبال فقد حدها بخطوط متعرجة على شكل إهرامات صغيرة مظلمة كما أشار إلى ارتفاع الجبال



خريطة بطليموس (آسيا السادسة) أول خريطة تطبع لبطليموس عام ١٤٧٧م.

بخطوط مغلظة ويشير إلى السواحل بخطوط متعرجة .

إن المتأمل لهذه الخريطة ، يعتقد أنه أمام لوحة فنية مجردة يصعب فهمها . فقد رسمت حدود شبه الجزيرة العربية بخط عدسي شديد التكسير ، محاط بهلال نير ، وتبدو في المساحة المحدودة القائمة التي تمثل شبه الجزيرة ، خطوط مستقيمة منفصل بعضها عن بعض متداخلة في نوع من الأقراص الملونة الكبيرة المزينة بأسماء عربية .

وقد قام عدد من راسمي الخرائط بتصحيح خارطة بطليموس Potlemy وفي مقدمتهم جياكوم جاستالد وكان ذلك عام ١٥٤٨م، خاصة في أسماء المدن والمواقع وتم إنتاج أول خريطة حديثة لشبه الجزيرة من قبل جياكوم جستالد Giacomo Gastald لمرافقة إصداره

بحيرة كبيرة مع وقوع مدينة مأرب إلى الشرق منها، وتتم تغذيتها بالمياه من نهر يجري من جهة الشمال عبر نجران. وتستمر المحافظة على هذا الموقع لنجران ومأرب في كل الخرائط اللاحقة لفترة طويلة وحتى بعد أن تم تصويب مواقع المدن. وفي الواقع توجد خرائط كثيرة يظهر فيها اسم نجران مرتين، ولكن في الغالب بتهجئتين مختلفتين^(٨).

وبعد فهذه إضاءة سريعة لبعض طبقات خريطة بطليموس التي وقفنا عليها في مكتبة التراث العربي الإسلامي (الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني - الدوحة - قطر) والتي هي في مجملها تمثل إضافة رائعة ومهمة لمن يرغب في الوقوف على مصادر أولية لدراسة تاريخ شبه الجزيرة العربية خاصة فيما يتعلق بشكل الجزيرة العربية في الخرائط القديمة... ■

الهوامش

- ١ - بيرين ، جاكليين : اكتشاف جزيرة العرب : ترجمة قدرتي قلعي ، دار الكاتب ، بيروت ، د ت ، ص ١٣٣ .
- ٢ - ألفريدو نهيرو ماركس : رواد المحيط ، مقالة في مجلة رسالة اليونسكو ، الطبعة العربية ، يونيو ١٩٩١ م .
- ٣ - بيرين ، جاكليين : مصدر سابق ، ص ١٣٤ .
- 4- Tibbets, G.R. Arabia in Early Maps., Falcon Oleander, Cambridge 1978. P19.
- 5- Tibbets, P19.
- ٦ - غريال ، محمد شفيق : الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ص ٣٨١ .
- ٧ - ألفريدو نهيرو ماركس : رواد المحيط ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .
- ٨ - عبدالحكيم ، محمد صبحي وماهر عبد الحميد الليثي : علم الخرائط ، الانجلو ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٦ .
- 9- Tibbets, P20.

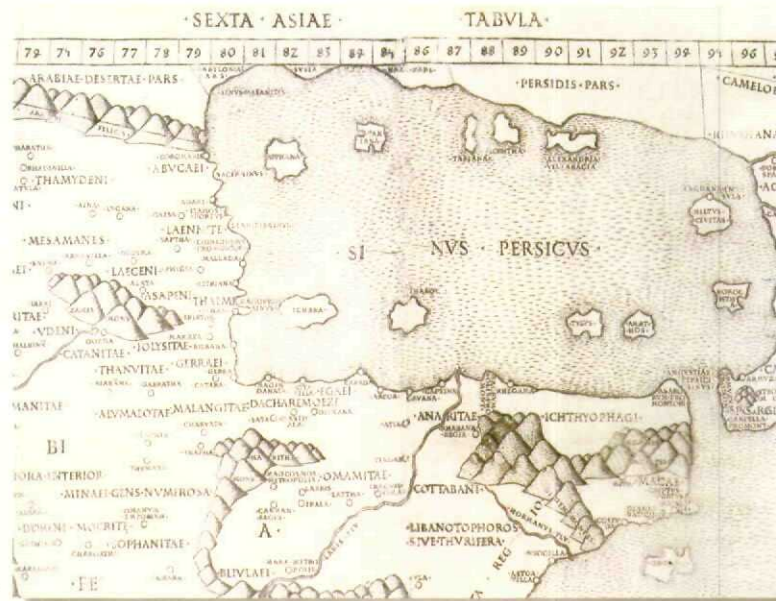
المراجع الأجنبية :

- Royal Giographical Society London 1990. (Nebeuzahl, K.)
- Maps from the Age of Discovery; Columbus to Mercator.
- Tibbets, G. R. Arabia in Early Maps., Falcon Oleander, Cambridge, 1978.

المراجع العربية :

- ألفريدو نهيرو ماركس : رواد المحيط ، مقالة في مجلة رسالة اليونسكو ، الطبعة العربية ، يونيو ١٩٩١ .
- الجوهري ، يسرى عبدالرازق : الكشوف الجغرافية ، دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية وتطور التفكير الجغرافي ، دار المعارف ، ١٩٦٥ م ، القاهرة .
- بيرين ، جاكليين : اكتشاف جزيرة العرب : ترجمة قدرتي قلعي ، دار الكاتب ، بيروت ، د ت ، ص ١٣٣ .
- سلوت ، ب. ج. : عرب الخليج ١٦٠٢م - ١٧٨٤م ، المجمع الثقافي ، أبوظبي ، ١٩٩٣م .
- عبدالحكيم ، محمد صبحي وماهر عبد الحميد الليثي : علم الخرائط ، الانجلو ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ١٦ .
- غريال ، محمد شفيق : الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ص ٣٨١ .
- فليحة ، أحمد نجم الدين : الجغرافية العلمية والخرائط ، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية ط ٢ .

* صور المقال : الكاتب



خريطة بطليموس (أسيا السادسة) جزء الخليج العربي طبعة عام ١٤٧٨م في روما. (لاحظ شكل الجبال ، ومضيق هرمز ومسميات بعض الأماكن المكتوبة باللغة اللاتينية).

لجغرافية بطليموس في عام ١٥٤٨م . وهذه خريطة صغيرة مع القليل من التفاصيل. ولا يمكن التعرف على معظم أسماء المدن ولكن يمكن التعرف على أسماء قليلة . ومن المشكوك إن كان كتاب فارتيما Varthema - الذي نشر في عام ١٥١٠م - قد استعمل عند رسم تلك الخريطة ، لأن التفاصيل لا تتطابق . فاسم «تيماء» يظهر في الخريطة ولكنه لا يذكر في كتاب فارتيما . وجياكوم جاستالد يكتب «لاميش» Lamech بدلاً من مكة Mecca ويكتب أيضاً «سما» Sama بدلاً من «صنعا» San'a . ولكن الاثنين يستعملان اسم «ريما» Reama أو (Yaim) فجستالد يضع هذا الاسم في موضع يمامة بالتقريب . واسم جيزان (Eezen) Jizan مذكور في كتاب فارتيما كما يظهر في خريطة عام ١٥٤٨م ولكنه لا يظهر في خريطة عام ١٥٦١م ، أما المعالم الطبيعية لخريطة جستالد فقد أخذت من خريطة بطليموس . ويذكر جستالد الجبال التي ظهرت في الخرائط البطليموسية ، ولكن نظام رسم الجبال مختلف تماماً عند جستالد حيث أنه يخترع نظام السلاسل الجبلية لفصل كل منطقة عن الأخرى . والأنهار هي نفسها التي في خرائط بطليموس مع بعض الإضافات البسيطة . وتتغير بعض الأسماء التي استعملها بطليموس لأسماء أخرى مثل : Baetius تصبح Eda و Lar تصبح Om و Prion تصبح Prim . وهناك نهر يسمى Cozara يجري إلى المنطقة التي تسمى اليوم الكويت . وربما يكون هذا النهر هو شعيب القصير Shaib Al-Qusair الذي يجري عبر القصير إلى داخل الصحراء قرب البصرة . وسد مأرب معروف جداً بسبب الإشارات الكثيرة إليه من قبل الكتاب الكلاسيكيين ، ويضعه جستالد في وسط الشريط الجنوبي. وتظهر